لا بد من طريق

.. ولاح في جدار الليل في فضائه البعيد
بريق نجم تائه شريد
يدعوك للرحيل ..
وكنت في مواقد الشتاء
تقلب الرماد في ذهول
تقول : يا سماء ! ..
يا جنة المحروم يا سماء ! ..
ويخفت النداء في تهدج ضعيف
ويعول الخريف
في الباب .. حيث الليل والسهاد والانين
وفي ظلال الصمت تغزل الرجاء
في مغزل الحنين
والجوع والحرمان والتطلع الحزين ..
يا عاثرا ودربه الاشواك والصخور
يا كابيا معفر الجبين
يا طائرا مكبلا في زحمة الرياح
يهم أن يطير
يعيا .. فيرتمي على صقيع ليله المرير
متى .. متى ستطلق الجناح ؟ ! ..

*

وفجأة يلوح نجمك البعيد
مشعشعا في الافق المديد
فتجمع المتاع والثياب
حقائبا تفوح بالوعود
وتمطر الورود
في بيتك المصدع العتيق
وأنت كالغريق
في نزعه الاخير أدركته صخرة النجاد
وريقة عادت اليها خضرة الحياه
فأقبل الجيران في فرحتهم يودعون
والاهل والاصحاب أقبلوا يودعون
وقلبك الحنون
يوزع القبل
مخضلة بالعطف والحنان والامل
وطائر أخضر يذرع السماء
تطلقه الشفاه يذرع السماء
وأختك الصغرى تشد الثوب في شغف
تحس بالاسف
فتذرف الدموع في حياء ! ..

*

تراك ما تزال تذكر
يا أيها المسافر الغريب
تراك في مجاهل الحياة ما تزال تذكر
تلويحة الايدي ورفة المنديل في المطار؟!
تضاءلت انوار
تغورت شيئا فشيئا .. ثم غام.
وميضها في جهمة الظلام
ركبت متن الريح
تحسبها معجزة المسيح ..
منتفضا يصعد في مدارج الخلود ..
تخال في يديك خاتم الغيوب
وسره الرهيب
ان شئت يفدق الكنوز والنضار ! ..

*

هنا .. هنا شواطيء الاسفنج والمحار
تشدني .. تشدني .. أغوص للقرار ..
في جوف حوت جائع يفترس النهار
ملغومة عروقه بالكلس والدوار
ويمضغ الدخان في تلذذ مزيف كذوب
وفي وحول الارض يغرز الاجفان والنيوب !.
وحدي .. وفي تطلع النبي للخلاص ..
وفي انتظار ساعة المخاض
تنشق جبهتي عن جوهر ثمين
أصيح في جنون
وافرحا .. تموز ينتفض
مخضوضرا من جرحي الدفين
يا أملي الحزين
بشراك .. يا .. بشراك
سنملأ السلال والشباك
من لؤلؤ البحار ! ..
وفجأة تعربد الانواء والصواعق
كأنها مطارق ..
تهوي على أضلاع زورقي الصغير
فينثني مرتطما بالوحل والصخور ..
زوابع الهجير
تجلدني بسوطها الرملي .. تشوي
جبهتي لوافح السعير ..
تغذ لعنة الجفاف في لحاقي
تلتف قبضة سوداء في خناقي
فتشهق الجراح في مضاجع الارق
ويرشح الغبار والعرق
من رحلة الضياع .. والعذاب ..
والقلق ! ..
نحن هنا هيا كل محنية الرقاب
محشوة بالقش والتراب ..
تبحث عن جزائر
خضراء .. في منى عوائر
شراعها الرغيف
ضمادة الملح على الجراح
«سيزيف» في دمائنا ، وصخرة القدر
وعمرنا الهزيل منحدر
أيامنا عجائز صغار
دائخة معصوبة الجبين ..
تقيء في شحوبنا الهزال والسقم
ضحكاتنا هشيم
وصمتنا عقم رضيعه الندم
ونحن أخشاب تكومت على ضريح
تصفر فيها الريح
تنخرها الديدان في مفازة السأم ! ..
يا دار كوني سلوة الغريب في القفار
وليغتسل في شاطئيك الطين والحجر
والغرف المغلقة ...
لتنفتح .. كيما تطير في السحر
فراشة مشرنقة ..
ويا رمال .. يا رمال ..
يا روعة مبثوثة تداعب الخيال
يا أنجما تطايرت شرر
بالامس في سنابك الجدود ..
عنانها القدر
ودربها الخلود ..
فشرقت ، وغربت رسالة علويه
ورفرفت على الدنى حضارة محلقه ..
وددت يا رمال
وددت لو تساقط المطر
في واحة ممرعة الظلال ..
ظمآن يا رمال ، والمنى سراب
لا يعقد السحاب
أعراس هذي الارض بالغلال والثمر
وفي شفاه الجرح لا تزال
أغنية انتظار
مشبوبة الايقاع والوتر
وغصن زنبق ذوى يهفو الى اخضرار! ..

*

عيني هنا .. ومهجتي هناك
تحوم حول فتية صغار
تطعمهم في البعد أدمعي الحرار
فتنقل الرياح من تحرقي صدى
يهمس في آذانهم فيسألون :
يا من هجرت الاهل والديار
ويا ممزق الخطى على الدروب
متى .. متى تعود ؟ !
وهمسة في خاطري تقول : يا صغار
يا جسر بيت عائم الجذور
في سبخة تفور ..
بالطحلب المخضر .. والعفونه ..
فتارة يطفو .. وتارة يغور
وتمسكون أنتم الجدار ! ..
الليل لن يطول ..
الليل يا صغار في احتضار
لا بد من طريق
يحملنا على جناحه الطليق
لشاطيء النهار ..
هناك حيث ينعم الصغار والكبار
في عالم منضر الرؤى .. جميل ..

احمد محمد صديق